موقع الكلمة من الدّرس الدّلالي

د. محمد بوادي
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة سطيف 2

ملخص

إنّ الاتّصال اللّغوي هو تبادل كلامي للرّسائل والمعلومات بين المتكلّمين باللّغة الواحدة، ومن ذلك كانت اللّغة أكثر الأنظمة الإشارية دلالة، وأكثرها تعقيدا واستعمالا، وهذا لما لها من إيلاغية خاصّة تميزها عن غيرها من الأنظمة. ومن المعلوم أنّ اللّغة قوامها الكلمات، فما من لغة من اللّغات إلاّ وتشتمل على رصيد منها، متفاوت من حيث القلة والكثرة. ومادامت الكلمة هي عماد اللّغة وقوامها، فإنّها حين وضعت للدّلالة على معنى أصلي فإنّ الواقع اللّغوي يثبت غير ذلك؛ إذ ليس للكلمات معنى إنّما استعمالات شتّى. فإذا دلّت الكلمات على معان أخرى غير المعنى الأصلي، فتلك معان مستخلصة من السّياق.

الكلمات المفاتيح: اتصال لغوي، كلمة، دلالة، سّياق.

La Place du mot dans les cours de sémantique

Résumé

La communication linguistique est l'échange verbal de messages et d'informations entre les locuteurs d'une seule langue. De ce fait, la langue est le système indicatif le plus complexe et le plus utilisé. Elle est faite de mots qui constituent ses piliers. Communément chaque mot renvoie à une signification particulière, toutefois la réalité linguistique prouve le contraire car le mot n'a pas plusieurs significations mais plusieurs usages et si le mot renvoie à d'autres significations différentes de sa signification d'origine, cela ne s'explique que dans le cadre du contexte

Mots clés: Communication linguistique, mot, signification, contexte.

Words in Semantics Courses

Abstract

Verbal communication is the activity of conveying information and ideas between the speakers of the same language, i.e. between individuals who share the same verbal code. Language is thus a complex shared system of signs (words) governed by rules of combination in order to communicate meaning. Words acquire multiple related meanings when used in different contexts; consequently, the change of meaning is attributed mainly to the context.

Keywords: Verbal communication, word, meaning, context.

تمهيـــد:

إنّ الاتّصال اللّغوي هو تبادل كلامي للرّسائل والمعلومات بين المتكلّمين باللّغة الواحدة، ومن ذلك كانت اللّغة أكثر الأنظمة الإشارية دلالة، وأكثرها تعقيدا، وهذا لما لها من إبلاغية خاصّة بها، ومميزة لها، تنمّ عن طاقات التّعبير اللّغوي المختلفة، والتّي تميّزها على أن تكون مجرّد أداة في العملية الآلية لنقل معلومات معينة[1]، لأنّها شيء للملفوظية، وظروفها النّفسية والاجتماعية، يتفاوت فيها المتكلّم الباث والسّامع المتلقّي تعبيرا وتفسيرا.

ومن المعلوم أنّ اللّغة قوامها الكلمات فما من لغة من اللّغات إلاّ وتشتمل على رصيد منها، متفاوت من حيث القلة والكثرة، ومادامت الكلمة هي عماد اللّغة وقوامها، فلابدّ من أن نتساءل: ما هي وظيفتها؟ وكيف تدلّ الكلمات على معانيها؟ أو الصّلة بين اللّفظ وبين صورته في الذّهن؛ إذ هناك فكرة تنشأ في الذّهن عند نطق الكلام، فما هي الصّلة بين هذه الفكرة وبين الكلمات؟، وهذا العلم هو أحدث علوم اللّغة نشأة إذ يقف في مقدّمة علوم اللّسان الحديثة، لأنّه يهتم بالعلامة أو الدّال، وهي ماهية ذهنية تحيل على معنى آخر.

والحقيقة إنّ الكلمات وضعت للدّلالة على معنى أصلي إلاّ أنّ الواقع اللّغوي يثبت غير ذلك؛ إذ ليس للكلمات معنى إنّما استعمالات شتّى[2]، فهناك بعض الألفاظ تطلق على معنيين أو أكثر، مثل الفعل (قضى) الذّي يفيد معنى (أمر)، كما في قوله تعالى:" وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه "[3]، ومعنى (صنع) كما في قوله تعالى:"فاقض ماأنت قاض "[4]، ومعنى (حكم) المعنى المستفاد من كلمتي (القاضي والقضاء)، ومعنى (مات) كما في قوله تعالى:" فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلّوا تبديلا "[5].

فإذا دلّت الكلمات على معان أخرى غير المعنى الأصلي، فتلك معان مستخلصة من السّياق، إذ السّياق هو الذي يدلّنا على المقصود من الكلمة. إنّ السّياق في قوله تعالى:"..إنّي نذرت للرّحمن صوما فلن أكلّم اليوم إنسيّا "[6]، هو الذي يدلّنا على أنّ المقصود من كلمة (صوم) ليس المعنى المعروف لدينا، وهو: الامتناع عن مفطرات البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، بل هو الامتناع عن الكلام، جاء في معاني القرآن للفراء قوله: "نذرت للرّحمن صوما"، أي صمتا"[7].

على هذا فلا تكاد الكلمة تذكر أمامنا حتّى ندركها من السّياق في معناها الأصلي ومعناها الثّاني، وعندئذ تستثير في أنفسنا صورة نفسية، هي الصّورة التّي كونّاها عن الشّيء المدرك بالحواس أو بالتّصور العقلي.

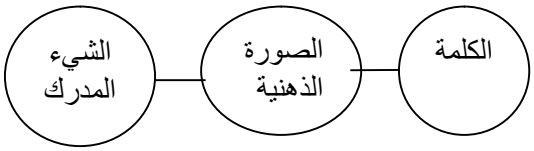

كما قد تتضاف إلى الصورة الذّهنية ارتباطات أخرى خارجية تضفي جوا خاصّا على المفهوم الحاصل في ذهن الشّخص المدرك، كما في قوله تعالى:" وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله "[8] ، فالمعنى المستفاد من الاستفهام (وكيف تكفرون؟) هو التعجّب والإنكار[9]، وليس استفهاما ننتظر إجابة عليه.

ممّا تقدّم يمكن القول إذن: إنّ الكلمات المستعملة أكثرها مشحون بقيم ومفاهيم أخرى مرتبطة بالمعنى الأصلي، وتعبّر عن نوايا المتكلّم ومقصده.

إنّ دراسة المعنى والدلالة – بعدّه من أهم مظاهر اللّغة– رغم تجذّره التاريخي، فقد اكتسب وزنا وازداد أهمية في الآونة الأخيرة نتيجة تطوّر الدّرس اللّغوي،

وبتأثير النّظريات التّي ظهرت على أيدي علماء اللّغة في العصر الحديث.

تعريف الدّلالة:

في اللّغة: الدّلالة في اللّغة تنحدر من جذر (دلل)، وله أصلان كما يقول ابن فارس(ت 395): "أحدهما إبانة الشّيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشيء، كأن نقول: فالأوّل دللت فلانا على الطّريق، والدّليل: الأمارة في الشّيء وهو بين الدّلالة والدلالة. والأصل الآخر قولهم: تدلدل الشّيء، إذا اضطرب"[10].

ومن الشّواهد على معنى الإرشاد والهداية والإبانة قوله عزّ وجلّ:" يا أيّها الذّين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم"[11] وقوله تعالى:" وحرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت: هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون "[12] .

وقوله تعالى:" إذ تمشي أختك فتقول هل أدلّكم على من يكفله " [13] فهذه الآيات جميعها ذات معنى لغوي أساسي واحد، هو أنّ الدلالة تعني الهداية إلى الطريق والإرشاد إليه[14]، ودلالة اللّفظ هي هدايته إلى معناه، كما يقول صاحب القاموس المحيط:" ودلّه عليه دلالة، فاندلّ سدّد إليه"[15] ، فدلالة لفظ كذا: هي كذا، والمقصود بلفظ الدلالة هنا هو المعنى، فكأنّما قلنا: مدلول لفظ كذا (أي معناه) هو كذا.

اصطلاحا: أمّا الدّلالة في اصطلاح علماء اللّغة فهي: ما يمكن أن يستدلّ به وهي بخلاف الاستدلال، لأنّه: طلب الشّيء من جهة غيره، فالاستدلال فعل المستدلّ[16]. جاء في التّعريفات: الدّلالة هي كون الشّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، و الشّيء الأوّل الدّال و الثّاني هو المدلول"[17]، يتّضح من خلال هذا التّعريف أنّ المعنى الاصطلاحي للدلالة قريب جدا من المعنى اللغوي، من حيث كون الدلالة في الاصطلاح هي أن يكون العلم بشيء ما موصولا إلى العلم بشيء آخر.

ودلالة اللّفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول تنحصر في ثلاثة أوجه هي: المطابقة والتّضمّن، والالتزام، فإنّ لفظ "البيت" يدل على معنى البيت بطريق المطابقة، ويدل على السقف وحده بطريق التضمّن، لأنّ البيت يتضمّن السقف. أمّا طريق الالتزام فهو دلالة لفظ "السّقف" على الحائط، فإنّه غير موضوع للحائط وضع لفظ (الحائط) حتى يكون مطابقا، ولا هو متضمّن، إذ ليس الحائط جزءا من السّقف كما كان السّقف جزءا من نفس البيت، وكما كان الحائط جزءا من نفس البيت لكنّه كالرّفيق الملازم الخارج عن ذات السّقف الذي لا ينفك السّقف عنه"[18].

فالدّلالة عند الأصوليين هي "كون اللّفظ بحيث إذا أرسل علم منه المعنى للعلم بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى"[19] ويشير هذا التعريف إلى قضيتين هامتين هما: قضية اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما.. وقضية اختلاف تعريف المناطقة واللّغويين للدّلالة وتعريف الأصوليين، إذ يرى المناطقة كما جاء في قول الشّريف الجرجاني:" هو كون الشّيء.." والمقصود بالشيء هنا مطلق الأمر، في حين يقول الأصوليون إنّ الدلالة هي "كون اللفظ"، والمقصود باللفظ ما تحقّق نطقه وتأكّد سماعه.

والأشياء التّي تدلّ على غيرها كثيرة ومتنوّعة، منها اللّفظية وغير اللّفظية، فاللّفظية أو الألفاظ معروفة، وغير الألفاظ مثل: الخط، الإشارة والعقد والنّصبة، أي الحال، وموضوعنا في هذا البحث هو الدّلالات اللّفظية: أي دراسة ما تؤدّيه الألفاظ والعبارات من دلالة على معانيها.

ويعد الجاحظ أوّل من حدّد هذه الدّوال وفصّل القول فيها، إذ يقول في معرض حديثه في البيان:" وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلهما اللّفظ ثمّ الإشارة، ثمّ العقد* ثمّ الخطّ، ثمّ الحال التّي تسمّى نصبة"[20]. فالمقصود بالدّلالة اللّفظية هي دلالة اللّفظ على معناه كدلالة لفظ الاسم (ذَهَبٌ) على ذلك المعدن النّفيس، وكذلك دلالة لفظ الفعل (ذَهَبَ) على الانتقال من مكان إلى آخر بحسب ما استعمل له لفظ الفعل (ذَهَبَ) في الجملة.

ودلالة (الخط) هي دلالة الرّموز المخطوطة على ما ترمز إليه، كدلالة خط (ق.ل.م) (قلم) على اللفظ المعبر عن تلك الأداة المستعملة في الكتابة. ودلالة (الإشارة) كبعض حركات أجزاء البدن: اليدين والرأس والشفتين والحاجبين والمنكبين، وكلّها حركات تدلّ على معان معروفة بين أفراد المجتمع الواحد، فالإيماء بالرأس يدل على الموافقة أو الرّفض ودلالة الإشارة شريكة دلالة اللّفظ وعون له وترجمان عنه، وكثيرا ما ينوب الإيماء عن اللّفظ.

أمّا دلالة العقد فهي دلالة استعملها العرب للحساب بالأصابع دون اللّفظ والخط، وتبدأ من الدلالة بثني خنصر اليد اليمنى إلى قرب أصل الخنصر بينه وبين الكف دلالة على العدد(1) واحد، ومنها ثني وسط اليد اليمنى يدل على العدد(5) خمسة، وهكذا.

أمّا دلالة النّصبة فهي دلالة الحال والهيئة العامّة للشخص أو الشيء على معنى، يقول الجاحظ في تعريفها:"وأمّا النّصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد"[21] ، ويفهم من قوله هذا أنّ النصبة هي الوضعية التي تكون عليها الأجسام ويقوم مقام اللفظ والإشارة في أداء المعنى.

بين الدّلالة والمعنى:

إنّ التّفريق بين الدّلالة والمعنى لأمر عسير التّحديد، لتداخل مباحثهما لدى العلماء قديما وحديثا، وقد أدى هذا التداخل إلى جواز استعمال اللّفظين 'الدّلالة والمعنى' بمعنى واحد، كأنّهما مترادفان متساويان، وهذا ما يقرّه التهانوي في مقدّمة كتابه إذ يقول:" ولعّل علم الدلالة أو حقل المعنى من أدقّ العلوم في الدّراسات اللّغوية" [22].

فإذا كان علم الدّلالة semantics هو: "ذلك العلم الذي يدرس المعنى"[23]، فإنّ الدّراسات الدّلالية في الدّرس اللّغوي العربي مرتبطة أساسا بدراسة المعنى، إلاّ أنّنا لا نكاد نجد عند علماء العرب القدماء تعريفا واضحا ومحدّدا للمعنى، إلاّ بعض الأقوال المتفرّقة، مثل ما جاء في كتاب الصاحبي لابن فارس أنّ المعنى هو:" القصد والمراد، يقال عنيت بالكلام كذا، أي قصدت وعمدت...وقال قوم: اشتقاق المعنى من الإظهار، يقال: عنت القربة إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته.. قال الفرّاء:" لم تعن بلادنا بشيء" إذا لم تنبت، وحكى ابن السكيت:"لم تعن من عنت تعني. فإن كان هذا فإنّ المراد بالمعنى الشّيء الذي يفيده اللّفظ:"[24]، وجاء في تاج العروس:" قال الفارابي: ومعنى الشّيء ومعناته واحد، ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه، كلّه هو ما يدّل عليه اللّفظ...،ويجمع المعنى على المعاني، وينسب إليه فيقال: المعنوي، وهو ما لا يكون للّسان فيه حظ، إنّما هو المعنى يعرف بالقلب"[25]. و من ذلك فإنّ المعنى يطلق ويراد به معان عديدة، أهمها:

- المراد من الكلام والقصد منه، وما يقصد بشيء[26].
- مضمون الكلام وما يقتضيه من دلالة.
- إنّ المعنى شيء غير اللّفظ لأنّ اللّسان ليس له فيه حظ.
- إنّ المعنى خفي لا يدرك إلاّ بالقلب أو العقل.

كما أورد الزبيدي عن المناوي أنّ:" المعاني هي الصّور الذّهبية من حيث وضع بإزائها الألفاظ"، فالصّور الحاصلة في العقل من حيث أنّها تقصد باللّفظ سميت معنى*، ثمّ يجعل لهذه الصور الذهنية أسماء اصطلاحية، تطلق عليها بحسب مراتب حصولها، فيقول:" والصّورة الحاصلة من حيث أنّها تقصد باللّفظ تسمى معنى، ومن حيث حصولها من اللّفظ في العقل تسمى مفهوما، ومن حيث أنّها مقولة في الجواب. ما هو؟ تسمى ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى الحقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هوية"[27]، ويمكننا بيان ذلك في الشكل الآتي:

المعاني

=

الصور الذهبية

1 -- -- -- --2-- - -- -- --3

معنى ↓ مفهوم ↓ ماهية ↓

عندما تقصد باللّفظ — عندما تحصل في العقل — عندما تقع في جواب ما هو؟

4------ -- -- -- ----5

حقيقة ↓ هوية ↓

من حيث ثبوتها في الخارج — عند تميزها عن الأعيان

ولمّا كانت الدّلالة هي: إثارة اللّفظ للمعنى الذّهني، كان:" كلّ شيء له وجود خارج الذّهن، فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به عن هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السّامعين وآذانهم[28]، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ" ويمكننا توضيح ذلك بالشّكل الآتي:

الصّورة الذّهنية

(الشفرة)

الشّيء الخارجي--- الرّمز أوالكلمة(مكتب)

(المرجع). (الاسم).

فلمّا كانت الكلمات مركّبة من وحدات صوتية ضم بعضها إلى بعض، فولّدت معنى يعبّر عن شيء محسوس، والصّورة الذّهنية هي الرّابط بين اللّفظ ومدلوله، كان لفظ"المكتب" هو الدال و الشّيء الخارجي هو المكتب نفسه، والصّورة الحاصلة تمثّل الفكرة، وهذا ما يعرف بنظرية مثلّث المعنى، إذ يطلق مصطلح "الدّال" على الاسم أي الرمز، كما يطلق مصطلح (المدلول) على الشيء أو المرجع كما يطلق مصطلح "معنى" على الفكرة المقصود التعبير عنها "أي مدلول الاسم"[29].

وقد حدّد عبد القاهر الجرجاني مفهوم المعنى مأخوذا من وظيفة اللّفظ أو دلالته الوضعية،إذ يقول:"ويعني المعنى: المفهوم من ظاهر اللّفظ والذي تصل إليه بغير واسطة "[30].

ممّا تقدّم فإنّ المعنى هو موضوع البحث في علم الدلالة، إلاّ أنّه يصعب تعريفه، ممّا أدّى إلى اختلاف الدّارسين في تحديده، وتوسّع شقّة الخلاف بين الآراء، وقد ساهم في ذلك اختلاف مناهج الباحثين، واختلاف مجالات بحوثهم المعرفية، مع كثرة المصطلحات المستعملة في هذا المجال المعرفي، والتّي لم يحصل الاتّفاق على معانيها.

الكلمة وعناصر الدّلالة:

بما أنّ اللّغة نظام من العلامات، فهي بذلك جماع عنصرين أساسين هما: الألفاظ أو الكلمات والأفكار أو" المعاني"، وبين هذين العنصرين ارتباط وثيق فمتى عرف اللّفظ أمكن إدراك معناه وتحصيله، ومن ذلك كان للدّلالة ثلاثة عناصر ضرورية هي: الدّال، والمدلول والنّسبة، وعليه تكون الدّلالة هي اقتران الدّال بالمدلول.

أ- الدّال: signifiant: وهو أداة الإشارة إلى الفكرة الذهنية المجردة، والحامل لها والمعبر عنها، وقد يكون هذا الدال منطوقا يتلفظ به اللسان إن كان قدره لفظا أو تركيبا كما يكون شكلا أو إشارة، ويعرّفه دي سوسير بأنّه :" الصورة الصوتية"[31]، أي الصورة الإصغائية، وهي ليست الصّوت الفيزيائي المحض، وإنّما الأثر النّفسي الذي يحدثه الصوت في الذّهن.

ب- المدلول:signifie: هو الفكرة أو المعنى الذي يحمله الدال ويعبر عنه، أو هو القالب اللّفظي الموضوع له وضعا خاصا، يعرفّه سوسير بأنّه "التصور" [32]، ويعرّفه البعض بأنّه "الصّور المفهومية التي تعبّر عن التصور الذهني الذي يحيلها إليه الدّال"[33].

فليس المدلول هو الشّيء، بل التمثّل النفسي للشيء. فكلمات 'لؤلؤ'، و'نرجس'، و'ورد'، و'العناب'، و'البرد'، في قول الوأواء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت: وردا وعضّت على العنّاب بالبرد[34]

لا تطابق بين الأشياء الموجودة في عالمنا الخارجي، بل التّمثّل النّفسي أو التصوّر والمفهوم لهذه الأشياء الذي يوجد لدى الفرد.

ج- النّسبة: وهي العلاقات القائمة بين الألفاظ والمعاني التي تدل عليها، أي هي العلاقة القائمة بين الصورتين الصوتية والذهنية، وبحصولها يتمّ الفهم ويحصل الإدراك، وهي ما يصطلح عليه: العلاقة الدّلالية أو الدلالة، تتحقّق عند اقتران الدّال بالمدلول[35]. ومن ذلك فالدلالة هي كيان نفسي يربط بين تصور ذهني وصورة صوتية، وليس بين شيء واسع، وثم فإنه لا يمكن القضاء على الدّال مثلا دون القضاء على المدلول، إذ لا يمكن فصل الفكرة عن الصوت، ولا يفصل الصوت عن الفكرة فهما كوجهي الورقة الواحدة لا يمكن تمزيق الأوّل إلاّ بتمزيق الثّاني.

أهميّة البحث في دلالة الألفاظ:

إذا كانت اللّغة وعاء الفكر الإنساني، وترجمان سلوكه، وصانعة مدنيته وحضارته، فإنّ أداة الدّلالة في اللّغة هي اللّفظ أو الكلمة، هذه الأخيرة التي فرضت نفسها وبسطت هيمنتها على أسماع النّاس في كلّ حين وآن، سواء أكانت هذه الكلمة منطوقة مسموعة أم مدوّنة مكتوبة، ذلك لما تتمتّع به من رفعة المكانة، وقوّة التّأثير وسعة الاستعمال وحرّية الحركة، ما أكسبها قوة خارقة وقيمة أسطورية: يقول صاحب لسان العرب: "إنّ لها أعمالا عظيمة تتعلق بأبواب جليلة من أنواع المعالجات، وأوضاع الطلسمات، ولها نفع شريف بطبائعها ولها خصوصية بالأفلاك المقدسة وملاءمة لها ومنافع لا يحصيها من يصنفها"[36].

لهذا كلّه نالت الكلمة الحظ الوافر من اهتمام الدّارسين واللّغويين قديمهم وحديثهم، ويكاد يجمع أصحاب المعاجم العربية على أنّ "الكلمات" ترادف "الألفاظ" في الاستعمال السائد المألوف[37]، ويتيح لنا هذا الرأي استعمال "اللّفظ" مرادفا "الكلمة" تجوّزا كون اللّفظ هو الصّورة الصّوتية للكلمة، أي أنّ 'الكلمة' أخصّ من 'اللّفظ' لأنّها لفظ دل على معنى[38].

إلاّ أنّ بعض الباحثين المشتغلين بالدرس اللغوي حاولوا التّفريق بين الكلمة واللفظ، وعلى رأس هؤلاء النحاة، حيث ربطوا بين اللفظ وعملية التلفّظ أو التنطّق دون الارتباط بالمعنى، فصار اللّفظ عندهم مجموعة من الأصوات المنطوقة، فإذا ما ارتبطت هذه الأصوات المجموعة بمعنى محدّد صارت كلمة، وبذلك فإنّ الكلمة تعني اللفظ، لأنّها لفظ دلّ على معنى[39].

فاللّفظ في عرف النحاة هو: " جنس يشتمل الكلام، والكلمة، والكلم، ويشمل المهمل كـ "ديز"، والمستعمل كـ"عمرو"، ومفيد أخرج المهمل، وفائدة يحسن السّكوت عليها، أخرج الكلمة وبعض الكلم"[40]، أمّا الكلمة فهي قول مفرد، أو هي اللّفظ الموضوع لمعنى مفرد، يقول ابن عقيل: "الكلمة هي اللّفظ الموضوع لمعنى مفرد"[41]، مثل محمّد علي قام، في، إنّ ، وقد تطلق الكلمة ويقصد بها الكلام أو الجملة، كما جاء في قولهم: لا إله إلاّ الله كلمة الإخلاص، وكقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها لبيد"[42].

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل :: وكـــلّ نعيم لا محالة زائـــل[43]

وقد لخّص ابن مالك موقف النحاة من ماهية الكلمة في بداية ألفيته حين قال:

كلا منا لفظ مفيد كاستقم ::
واسم، وفعل، ثمّ حرف الكلم.
واحده كلمة والقول عـــم ::
وكلمة بها كـــلام قـــد يـــــؤم[44].

يميّز ابن مالك في كلامه هذا بين أربعة مصطلحات لطالما شغلت اهتمام النحاة واللغويين العرب منذ القديم، وهذه المصطلحات هي:الكلام والكلم * والكلمة والقول.

فالكلمة في تعريف النحاة لها وجود مستقل، تدلّ على معنى جزئي مفرد، كونها تمثّل وحدة الكلام، ويقوم تصوّرهم هذا للكلمة على أساس ثلاثة عناصر هي على التّرتيب:

1-الصوت 2- الاستقلال 3- الدّلالة المفردة أو الجزئية[45]

وبهذا تصير الكلمة مجموعة الأصوات التي تشكل وحدة مستقلة، دالة بمفردها على معنى محدد، أو كما يسمّيها بلومفيلد Bloomfield بـ:الصيغة الحرّة، حيث يقول: "الكلمة هي أصغر صيغة حرة"[46]، فالكلمة أخصّ من اللفظ لأنّها لفظ دلّ على معنى.

ويفرّق محمد المبارك بين اللّفظ والكلمة على الأساس الذي اعتمده النّحاة العرب القدامى، حيث يقول:" والفرق بين اللّفظ والكلمة أنّ اللّفظ يشير بوجه خاص إلى الناحية الصّوتية من الكلمة، وأنّ الكلمة تشير إليها وإلى المفهوم المعنوي للّفظ معا"[47]، وهو المعنى نفسه الذي قال به نحاتنا القدامى حين عرّفوا الكلمة بأنّها لفظ مفيد لمعنى واحد، واعتبار كلّ من اللّفظ والكلمة مترادفين متغاضين عمّا بينهما من فرق دقيق.

وهنا نلحظ الفرق بين مفهوم اللّفظ عند اللّغويين وعند الأصوليين، فإذا كان اللّفظ عند اللغويين يمكن أن يكون صوتا غير دال، فإنّه عند الأصوليين مرتبط بالدلالة دائما، يقول الآمدي:" الكلام ما يترتب من المقاطع الصوتية التي خصّ بها نوع الإنسان دون سائر الحيوان، ومن اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية حدثت الدلائل الكلامية"[48].

فكلّ من اللّفظ والكلمة والكلام تحمل معنى واحدا عند الأصوليين[49]، وهم بذلك يختلفون مع النّحاة في نظرتهم إلى اللفظ والكلمة، حيث يستحضرون مع اللفظ عملية النطق، حتى إذا ربط بين هذه الأصوات

المنطوقة تكوّنت في رأيهم الكلمة، أي أنّ الكلمة أخصّ من اللفظ، لأنّها لفظ دل على معنى.

ممّا تقدم فإنّ الكلمة هي جماع مبنى ومعنى، ولكلّ منهما سماته وخصائصه التي تميّز الكلمات عن بعضها البعض، وإذا كان المبنى من اختصاص الدّرس الصوتي، فإنّ المعنى من اختصاص الدرس الدلالي، إلاّ أنّ الاهتمام بالمعنى أمر مهم في دراسة اللّفظ.

فإذا كانت الكلمة لفظا ومدلولا ومعنى فإنّ المعنى هو العلاقة الرابطة بين اللّفظ والمدلول، تمكّن كلّ واحد منهما من استدعاء الآخر، وهذا ما يؤكّد على أنّ فقدان معنى الكلمة يعني فقدان العلاقة الرابطة بين الكلمة ومدلولها، فإن فقدت هذه العلاقة فقدت الكلمة محتواها وزالت الصورة الذهنية أو الفكرة التي يمكن أن تستدعيها، وبذلك تصير الكلمة هيكلا فارغا عديم القيمة. فالمعنى إذا هو عنصر أساسي في الكلمة، بل تحدّد من خلاله قيمة الكلمة، على حدّ تعبير فندريس vendryes: " إنّ ما نسميه بالمفردات هو مجموعة الكلمات في إحدى اللغات باعتبار قيمته المعنوية"[50].

ونجده يؤكّد رأيه هذا في بيان تعريف الكلمة حيث يقول: "تحدث الكلمة من ارتباط معنى ما بمجموعة من الأصوات قابلا لأن يستعمل استعمالا نحويا ما"[51].

بناء على ما تقدّم فإنّ الكلام يتألّف من عناصر أساسية: هي الوحدات الصوتية، والكلمات التي تجمع فيها هذه الوحدات الصوتية، ثمّ الصيغ أو التراكيب النحوية التي تؤلّف بين الكلمات تأليفا خاصا، من أجل تأدية وظيفة التعبير عمّا يجول في النفس والذهن من خواطر وأحاسيس وأفكار، يقول فخر الدين الرازي في معرض بيان الغرض الأصلي من وضع المفردات لمسمياتها:" أن يضمّ بعضهما إلى بعض ليحصل منها الفوائد المركّبة"[52].

إلاّ أنّ ضم المفردات بعضها إلى بعض لا يكون اعتباطا، وإنّما يقتضي علما بمدلولاتها ودراية بمعانيها وخصائصها إدراكا لأسوارها، وإلاّ تعذّر نظمها في الكلام وتأليفها تأليفا مؤديا لمقاصد المتكلمين، يقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك:" ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النّطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل[...] كنّا لا نشكّ في أن لا حال للّفظة مع صاحبتها تعتبر، إذا أنت عزلت دلالتها جانبا، وأي مساغ للشّك في أنّ الألفاظ لا تستحقّ من حيث هي ألفاظ أن تنظم على وجه دون وجه، ولو فرضنا أن تنخلع من هذه الألفاظ التّي هي لغات دلالتها لما كان شيء منها أحق منها بالتقدير من شيء، ولا يتصور أن يجب فيها ترتيب ونظم"[53]، فإدراك المعنى كما يصلنا في الخطاب يخضع لعلاقات الكلمة مع غيرها من الكلمات المتواجدة ضمن السياق ذاته، وتحدد بنية النظام الألسني هذه العلاقات.

فلا قيمة للّفظ من دون المعنى، ولا قيمة لكلمة لا تؤدي فكرة أو لا تحمل دلالة، فإن كانت كذلك كانت كيانا فارغا حتّى وإن حسنت صورتها ورقّ نطقها، كما لا قيمة للمعاني والأفكار دون الألفاظ والكلمات التي تؤديها أو تحملها وتوصلها إلى السامع، ذلك أنّ المعاني والأفكار لا تظهر ولا تبيّن إلاّ بالألفاظ أو الكلمات.فاللفظة المفردة لا قيمة لها من حيث هي مفردة وإنّما تتجلّى قيمتها عندما تضم طائفة من الألفاظ بعضها إلى بعض، يقول الجرجاني:" إنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها من أنفسها، ولكن لأن يضمّ بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد"[54]. ويؤكد

الجرجاني في قوله هذا على حقيقة هامة مفادها أنّ اللّفظة المفردة التّي هي مادة اللّغة، لا يتصوّر أن يقع بها تفاضل من حيث هي لفظة مفردة دون أن تدخل في سياق ما، ويُضمّ بعضها إلى بعض[55].

إنّ الكلمة تشغل حيّزا واسعا في اللّغة لا يقلّ عن الحيّز الذي تشغله في حياة الفرد، وقد كانت الكلمة تعمل في العربي أكثر ممّا يعمل السّيف، وهذا ما تؤكّده كثرة الحِكَم في كلام العرب المبيّنة لقوة أثر الكلمة على الإنسان العربي خصوصا حين قال:" ربّ قول أنفذ من صول"، كما قيل:" ربّ كلمة قالت لصاحبها: دعني وحين لم يدعها قُتل"، وقد أكّد الدّين الحنيف على قيمة الكلمة فصار الإنسان مسؤولا ومحاسبا على ما يقول ويتلفظ فإن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا، قال تعالى:" *ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد* "[56]، ويقول النبي (ص) في معرض نصحه لمعاذ بن جبل–رضي الله عنه– وإنّا لمؤاخذون بما نقول" فقال(ص):" ثكلتك أمّك يا معاذ، وهل يكبّ النّاس في النّار على وجوههم أو على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم"[57]. وقال أيضا:" إنّ العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها يزّل بها في النار أبعد ما بين المشرق"[58].

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ الألفاظ والكلمات تكمن قيمتها الأساسية في تأدية المعاني وتبليغ الأفكار والتّعبير عن المشاعر والأحاسيس، حتى تؤدّي اللغة وظيفة التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وتحقق التفاهم فيما بينهم.

المصادر والمراجع

1- ينظر: عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1981، ص12.

2- ينظر، بيار غيرو: علم الدلالة، تر أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1986م، ص29.

3- سورة الإسراء، الآية 23.

4– سورة طه،الآية 71.

5- سورة الأحزاب، الآية 23.

6– سورة مريم، الآية 25.

7- ينظر الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1980،2 ، ج 02 ، ص 166، والزمخشري: الكشاف تح محمد موسى دار المصحف، القاهرة، ط2، 1977، ج4 ص07 .

8- سورة آل عمران، الآية 101.

9- ينظر الزمخشري: الكشاف، ج1 ص 190.

10- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة .تح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت لبنان، 1999، مج2 ، ص 259.

11- سورة الصّف، الآية 10.

12- سروة القصص الآية11.

13- سورة طه، الآية 40.

14- ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة(دلل).

15- الفيروز أبادي : القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، د ط، ح03، ص 388، باب الكلام، فصل الدال.

16- ينظر أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية، تح عماد زكي البارون، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط، ص 67 وص70.

17- الشريف الجر جاني : التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، د ط، د ت، ص 109، و ينظر التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، 1963، ج 02، ص 119.

18- ينظر: أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تح محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1997،1م، ج1، ص74.

19- محمود توفيق محمد سعد: دلالة الألفاظ عند الأصوليين، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1987م، ص11.

*العقد: ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له حساب اليد وقد ألفت فيه كتب وأراجيز، ينظر: البغدادي: الخزانة، ج3، ص 147.

20- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) : البيان والتبيين، تح وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج1، ص76.

21- المصدر السابق نفسه، ج1، ص81.

22- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، المقدمة.

23- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، ط5، 1998، ص11، ومحمود السعران: علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط3، ص261. وماريو باي: أسس علم اللغة، ص44.

24- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح مصطفى الشويمي، المكتبة العربية بيروت لبنان، 1964 ،ص:192- 193.

25- الزبيدي : تاج العروس من جوامع القاموس، تح على شيري، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د.ط، 1994، مج 19، ص 711.

26- المصدر نفسه، مج19 ،ص711 .

*- يقرّر أهل العلم أنّ " الشيء" له في الوجود أربعة مراتب هي على الترتيب: الأولى حقيقته في نفسه، والثانية ثبوت مثال حقيقته في الذهن، والثالثة تأليف صوت بحروف تدل عليه، وهو العبارة الدالة على المثال الذي في النفس، والرابعة تأليف رقوم تدرك بحاسّة البصر الدالة على اللّفظ وهو الكتابة، ينظر أبو حامد الغزالي: المستصفى، ج1، ص62.

27- الزبيدي: تاج العروس، مج 19 ،ص 711 باب الواو والياء.

28- أبو الحسن القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الطيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1981، ص 18-19.

29- ينظر عدنان بن ذريل : اللغة والدلالة، ص 48 .

30- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص203.

31- فردنان دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة،ط1 ،1986، ص81 وص139.

32- المرجع نفسه: ص88 وص139.

33- أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات دار الفكر، بيروت دمشق، ط2، 1999م، ص18.

34- مصطفى المراغي: علوم البلاغة، دار القلم، بيروت لبنان،دط، دت، ص249.

35- marie moelle Gary les termes clés de la linguistique menu seuil France 1999.p53-

36- ابن منظور: لسان العرب، المقدمة، مج1، ص12.

37- ينظر ابن فارس: مقاييس اللغة، مج5، ص131 و259، وابن منظور: اللسان، مج4، ص862.

38- ينظر إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلوالمصرية، ط04، 1980، ص38.

39- ينظر: المرجع نفسه، ص38 .

40- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي،بيروت لبنان، ط1، 1999، ج1، ص20.

41- المرجع نفسه :ج1 ،ص21.

42- رواه البخاري، باب أيام الجاهلية،ج3، ص1593.

43- زكرياء عبد الرحمان صيام: شعر لبيد بين جاهليته وإسلامه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، ص128.

44- ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، ج1 ص 20.

* – الكلم اسم جنس جمعي، فهو ما دل على الجمع ويفرق بينه وبين واحده بالتاء.

45- ينظر: حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، مصر 1998، ص 22.

46-Hartman stork, Dict of long and ling, p256-

47- محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، ص164.

48- الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام، مطبعة المعارف، القاهرة، ط 1918، ج1، ص11.

49- ينظر: أحمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص89.

50- فندريس :اللغة، تر عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة الأنجلو المصرية، 1950م، ص 124.

51- المرجع نفسه: ص124.

52- فخر الدين الرازي :نهاية الإيجاز، تح بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1985، ص148.

53- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ،ص 40 و41.

54- المصدر نفسه، ص41.

55- ينظر أحمد على دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجيا وتطبيقا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1986، ص 45.

56- سورة ق، الآية 18.

57- جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، كتاب الإيمان، ص 425.

58- صحيح البخاري، باب حفظ اللسان، ج4، ص 193.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

المراجع بالعربية:

1- إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1980،04.

2- أحمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003.

3- أحمد على دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجيا وتطبيقا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

4- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة .تح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت لبنان، 1999.

5- أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح مصطفى الشويمي، المكتبة العربية بيروت لبنان، 1964 .

6- أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات دار الفكر، بيروت دمشق، ط2، 1999م.

7- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، ط5، 1998.

8- الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام، مطبعة المعارف، القاهرة، د ط، 1918.

9- بيار غيرو: علم الدلالة، تر أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1986م.
10- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، 1963.
12- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) : البيان والتبيين، تح وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م.
13- أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تح محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1،1997م.
14- أبو الحسن القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الطيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1981.
15- حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، مصر 1998،.
16- الزبيدي : تاج العروس من جوامع القاموس، تح علي شيري، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د.ط، 1994.
17- زكرياء عبد الرحمن صيام: شعر لبيد بين جاهليته وإسلامه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية.
18- الزمخشري: الكشاف تح محمد موسى دار المصحف، القاهرة، ط2، 1977.
19- الشريف الجر جاني : التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، د ط ، د ت .
20- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، تح محمد عبده.
21- عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1981.
22- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي،بيروت لبنان، ط1، 1999.
23- فخر الدين الرازي :نهاية الإيجاز، تح بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1985 .
24- الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط2، 1980.
25- فردنان دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ط1، 1986.
26- فندريس :اللغة، تر عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة الأنجلو المصرية، 1950م.
27- الفيروز أبادي : القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، د ط،.
28- ماريو باي: أسس علم اللغة،
29- محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية.
30- محمود توفيق محمد سعد: دلالة الألفاظ عند الأصوليين، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1987م.
31- محمود السعران: علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط3.
32- مصطفى المراغي: علوم البلاغة، دار القلم، بيروت لبنان،دط، دت، .
33- ابن منظور: لسان العرب ،تحعامر أحمد حيدر،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2005.
34- أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية، تح عماد زكي البارون، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط،1.

المراجع بالفرنسية:

35-marie moelle Gary : les termes clés de la linguistique, menu seuil, France 1999.
36-Hartman stork, Dict of long and ling .